

## العوامل المؤثرة في ظهور الهوية

أ.د. أحمد حيال جهاد الباحث. ساجد هادي بردان

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

[Dr.ahmed.h@utq.edu.iq](mailto:Dr.ahmed.h@utq.edu.iq) / [sajdalmajad@gmail.com](mailto:sajdalmajad@gmail.com)

### المخلص:

الهوية من الموضوعات التي لا تزال تمثل احدى المسائل المثيرة للجدل، وتكثر فيها التعريفات والنقاشات الحادة والموسعة، فهناك عوامل مهمة تؤثر في ظهور الهوية وبأنماط متعددة، فالعامل الرئيس منها هو العامل السياسي، الذي لعب دوراً أساسياً ثم تأتي بعده العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتي لا تقل اهمية عنه، وتباعاً تأتي العوامل الاجتماعية والاقتصادية ثم العوامل الثقافية، وخصوصاً في المجتمعات التي تتداخل في تنوعها كالمجتمع العراقي، الذي يتنوع دينياً وقومياً ومذهبياً وعشائرياً

وقد خلص البحث الى المؤثر الاجتماعي، لإيمان المجتمع في ذلك الوقت بالأعراف الاجتماعية والتقاليد العشائرية والقبالية السائدة في المجتمع آنذاك.

الكلمات المفتاحية: (الهوية، الاجتماعية، العوامل).

## The Factors Affecting the emergence of identity

Researcher. Sajid Hadi Berdan Prof. Dr . Ahmed Hayal Jihad

Dhi Qar University/ College of Education for Human Sciences/

Department of Arabic Language

### Abstract :

Identity of topics that continue to be one of the controversial issues, There are many sharp and extensive definitions and debates, and there are important factors affecting the emergence of identity and multiple patterns. The main factor is the political factor, which has played an essential role and is followed by social and economic factors that are just as important as him. Social and economic factors, and then cultural factors, especially in societies that overlap in their diversity, such as Iraqi society, which is religiously, nationally, sectarianly and clans diverse .

The research concluded the social impact of society's belief at the time in the social norms and tribal and clan traditions prevailing in society at the time.

Keywords: (identity, social factors).

## المقدمة:

أنّ ظهور أي نمط أو شكل من انماط الهوية واشكالها المتعددة لا بد من مؤثر ، والمؤثر الاجتماعي كان فاعلاً في وقت من الاوقات ، فالقبليّة والعشائرية بأعرافها وتقاليدها هي الحاكم والمسيطر على فئة كبيرة من المجتمع .

وقد سلط البحث الضوء على نصوص من روايات نعيم ال مسافر التي صور فيها المؤثرات الأساسية في ظهور الهوية والتي كانت العوامل الاجتماعية عاملاً رئيساً فيها وخصوصاً النصوص التي صورت لنا المجتمع الجنوبي ومدى هذا التأثير على الافراد والمجتمعات .

- رواية كوثرانيا : هي قراءة واضحة للمجتمع العراقي وتصوير دقيق لمعاناته والاسباب التي اخرجت الهوية لكل فرد من افراد المجتمع واسباب التحول من هوية الى هوية
- رواية اصوات من هناك : هي محاولة اثبات هوياتي بأحدث سرد روائي لمن حاول طمس هذا الارث الحضاري التاريخي الذي يحتضن لحضارات متتابعة ، وهذه الاماكن هي نواة لخليط اجتماعي ورثوا الاصاله ممن سكن هذه الارض قبلهم
- رواية لحياة غير مكتوبة : كانت تصوير لمراحل تحول الهويات في المجتمع العراقي في فترة حكم الاقطاع الذين تسلطوا على بقرار سياسي وامكانات اقتصادية واجتماعيا ، والتصوير الاخر لطريقة التربية لطبقات اجتماعية محددة مما يؤدي بها الى نتائج سلبية ، لعدم اخذها مسارها الصحيح مما يؤدي بالإنسان الى الاغتراب الذاتي .

## العوامل الاجتماعية :

إنّ الأساس الذي تعتمد عليه العوامل الاجتماعية في ظهور الهوية هو الانتماء الذي كان أحد الأجوبة على سؤال الهوية ( من نحن ؟ ) ، والمتكون من مجموعة الروابط التي تشد الفرد إلى جماعة أو عقيدة أو فلسفة معينة ، وعلاقته بالآخرين وبمن يشاركه الوجود . والصراع الذي يخوضه الإنسان مع ما يحيط به من موجودات ، خلال فترة حياته من طفولته إلى حين إدراكه لذاته وما تشكلت لديه من مشاعر وأحاسيس تجاه الآخرين ، والتي تربط الفرد بالمجتمع ، وما تكوّنه من خصوصية في فترة مراحل العمرية التي يمر بها <sup>(١)</sup> ويأتي ( الشعور بالانتماء كنتاج لعمليات التكامل الاجتماعي ، وعمليات تمثل القيم السائدة في إطار المجتمع ) <sup>(٢)</sup> ، لذا تتكون الهوية لدى الفرد منذ نعومة أظفاره ومعرفته لنفسه وعلاقته بأسرته ومجتمعه وبكل ما يشكل له محيطاً يمكن التعامل معه أو التأثير والتأثير فيه . فهي ( مركب من مشاعر الانتماء والتكامل والاحساس بالوجود ) <sup>(٣)</sup>.

وهذا ما اتفق عليه العلماء بأن وجود الفرد يبدأ من لحظاته الأولى ، والشعور المشترك الذي يأخذ هيئة ضمير الجمع ( نحن ) الذي يبدأ بشخصين لا يمكن الفصل بينهما أو بين الأنا والآخر ، لهذا فإن عناصر الهوية الموجودة فينا مسبقاً منذ ولادتنا مثل بعض الصفات الخارجية ( الجنس ، اللون ) ... الخ وحتى هذه العناصر ليست كلها فطرية فبالرغم من إن البيئة الاجتماعية ليست هي التي تُحدد معنى هذا الانتماء ، وهو ما يعني أن الهوية ليست مركبة فينا على نحو وراثي ( جيني ) بل هي مكتسبة حسب المعطى الثقافي الذي ينشأ الفرد في إطاره وهو ما يؤدي إلى إمكانية تحول هذه النظرة إلى النوع إذا تغيرت المعطيات الثقافية المولدة لها <sup>(٤)</sup> ، وأهم هذه المعطيات التي تتشكل منها المنظومة القيمية للانتماء الحضاري للفرد هو تمتينه لأحمتها وعمله لانتمائها وتحقيقه لهويتها (( فالانتماء يؤكد حضور مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد التي تتغلغل في أعماق الفرد فيحیی بها وتحیی به حتى تتحول إلى وجود غير محسوس كأنه الهواء ، يتنفسه ولا يراه ويشكل الانتماء جذر الهوية الاجتماعية وعصب الكينونة الاجتماعية)) <sup>(٥)</sup>.

فالمؤثرات والعوامل الاجتماعية المساعدة في ظهور الهوية في الأدب الروائي كانت كثيرة ومتنوعة وبأنماط مختلفة ، وخصوصاً في الرواية العراقية ؛ لأنها مثلت ما عاشه المجتمع العراقي خلال فترة الانقلابات والثورات السياسية والتغيرات الاجتماعية والظروف الاقتصادية المتقلبة ، وبرغم التنوع والتعدد الذي يعيشه هذا البلد المتكون من فسيفساء ملونة ، من أديان وطوائف وقوميات وأعراف واثنيات وبكل اعرافهم الاجتماعية والقبلية والعشائرية السائدة ، والتي أثرت على الهوية ، وكانت تمثلاتها واضحة في روايات نعيم آل مسافر الذي رسم لنا صورة المجتمع العراقي بأعرافه وتقاليدته الاجتماعية السائدة ، التي ظهرت من تأثيراتها الهوية في ( رواية كوثرانيا ) كانت أولى الهويات التي ظهرت هي ( هوية الراوي ) و بسبب اذعانه إلى التقاليد القبلية والاعراف الاجتماعية السائدة في مجتمعهم الذي يوجب أخذ الثأر من القاتل ، وهذا ما دفع ناصر الذي أخذ بثأر أبيه وأدى ذلك نيابة عن أولاد القتيل كما يقول ناصر في الرواية ( لقد قتلته ... أدبت ذلك نيابة عني وعنك مهمة الأخذ بالثأر ) ، كانت هذه من الأعراف الاجتماعية والنعرات القبلية التي تجعل صاحبها محتقراً في وسطه الاجتماعي إن لم يأخذ بالثأر وهذه التقاليد هي التي جعلت (ناصر) يتسلط ويقتل وجعلت الراوي أيضاً يخضع لهذه الأعراف والتقاليد ويكون هو القاتل بدل أخيه لحمايته من الإعدام كما يروي لنا ناصر بقوله ( الآن جاء دورك لتكون ابن أبيك المغفور وتكون رجلاً في تحمل الجزء المتبقي من المسؤولية تجاه ثأره ، عليك أن تعترف بقتله بدلاً عني ) <sup>(٦)</sup> هنا فرض الأخ على أخيه الأصغر الاعتراف بهذا القتل ولأنه غير بالغ سن الرشد سيكون حكمه أخف ولا يُحكم بالإعدام ، المهم أن يتجنب احتقار الناس له ولأخيه في مجتمعه وهذا جزء من الالتزام بالأعراف والتقاليد وإطاعة الأوامر مهما كانت عواقبها <sup>(٧)</sup>، وهذه التقاليد كانت سائدة في كل المجتمعات القبلية والعشائرية العراقية منها والعربية ، وسلطة الأب الاجتماعية ومن بعده سلطة الأخ الأكبر هي من الأعراف

السائدة والأخذ بكلامهم مهما كانت نتائجها وتبعاتها ، يقول الراوي ( أنا اعترفت ... بارتكاب جريمة القتل تلك ومثلت دورك على أكمل وجه في كشف الدلالة ، لا أدري لماذا كنت بارعاً في تمثيله ؟ لأنني حفظت الدور جيداً ؟ أم لأنني كنت أتمنى أن أكون حقاً أنا قاتله ؟ أم هو الخوف الذي يصنع الاعاجيب ؟ ! خوفاً من ثأر أبناء الضحية ... ظننت أنني بلجوني إلى الاعتراف ودخول السجن الاصلاحى ، سأضرب عصفورين بحجر واحد ، وهما تخليصك من حبل المشنقة والهروب من أبناء الضحية ) <sup>(٨)</sup> ، وهذا الاعتراف هو الذي جر الويلات على الراوي والذي جعله تحت رحمة سمير وجماعته ، فاقداً لذاته وشخصيته .

هويته تتعدد حسب الحاجة والموقف الذي يمر به ، وكان عتابه لأخيه يوضح هذه الطاعة لأخيه الذي كان يعتبره والداً لأنه هو الذي رباه وعلمه ولكن لو كان قد نسي هذا العرف القبلي لكان هو وأخيه يعيش حياةً مستقرة وبوضع يختلف عما هو فيه اليوم <sup>(٩)</sup> يخاطب أخيه عنده خروجه من السجن ( كنت أتصور أن أجدك منتظراً ... لتحضنني بين ذراعيك الدافئين ، ما شعرت بالدفء بعدما أبداً يا ناصر ، ما زال برد سجن الإصلاحية يستعر بين أضلعي ، أيفعل الأب بولده ما فعلت بي ؟ ترميني في مكان يسود فيه سمير ونبييل ؟ ) <sup>(١٠)</sup> ، كان عتابه لأخيه عتاب طفل يحتاج لأبويه ، يحتاج إلى حنان الأم ودفء الأب ولكن التقاليد القبلية والأعراف الاجتماعية هي التي كانت سائدة وأقوى من هذه العاطفة الأبوية وحنان الأم التي كانت تبالغ في الخوف عليه من كل شيء ولكن! يسأل نفسه ويقول ( كيف أمكنها موافقة ناصر على ما فعله بي ؟ لأنه ولدها البكر وتكن له محبة أكثر مني ؟ أهو أهون الشرين الذي اختارته ؟ ) <sup>(١١)</sup> ، هنا يتضح حتى عاطفة الأم التي لا تُقاس بها أي عاطفة تجاه الأبناء ، ولكن التقاليد والأعراف كانت المسيطرة والمؤثرة في واقعهم الاجتماعي وجعلت الراوي يحسب نفسه ميتاً في سجنه ، إذ يشعر بأنه لا قيمة له في وسط مجتمع السجن يقول ( كنت مستحياً جداً في تبرير عمر قضيته في الضياع ، حي مع وقف التنفيذ أو ميت بنية الحياة ! ) <sup>(١٢)</sup> ، كان يرى نفسه معدماً في سجنه وطاعته لهذه التقاليد هي سبب اغترابه عن ذاته وفقدان شخصيته وضياعه مع زمرة رافقها مدى ثلاث سجون ، سجن الإصلاحية الذي كان أساس معرفته لهذا العالم الغريب عنه ، وسجن أبو غريب الذي جمعه القدر فيه معهم ، ومزرعة سمير التي أجبر على العيش فيها و (( عندما يجبر الإنسان على العيش مع أناس لا يشعر بالانتماء لهم هذا يؤدي إلى أن يعيش غربة ذاتية تقمع فرديته وعفويته ، مما يجعل الفرد يخسر روح الاطمئنان والسلام ، ويشعر بالقلق النفسي وتكون حياته بين الحيطه والحدر )) <sup>(١٣)</sup> ، وهذا ما جعله يفكر بالسفر والهجرة خارج البلد ليكون في أمان من بطش العصابات والبحث عن ذاته المفقودة ( ألحت عليّ في تلك الأيام فكرة السفر ، لترك كوثاريا بأسرها إلى الأبد لم يبق لي فيها سوى بعض ذكريات لأم ماتت بالحزن المؤبد وأب وأخ قتيلين لأسباب تافهة ) <sup>(١٤)</sup> ، وكل شخص يقرأ الوطن بطريقة فهم خاصة وكان الراوي يقرأه بهؤلاء الذين قدهم قتلاً وحرزناً ، وصاروا تحت التراب ، فتحولوا الى مشاعر وذكريات يحملها بداخله يذهب بها إلى حيث

يريد ، لأن لا وطن له ، الوطن صار للضرورات واشباهها الأصنام التي صارت مركزاً تدور حولها هذه الأشباه ، وما عاناه من غربة داخلية وهي فقد الاحبة ولم يبق منهم أحد ، وغربة خارجية لعدم استطاعته العيش مع هكذا وضع ، لا ترى فيه الأمان الكل مسلح فضلاً عن القتل والسلب والخطف في وضوح النهار ، كانت هذه التقاليد والأعراف هي التي أظهرت لنا هذه الهوية .

أما في رواية ( أصوات من هناك ) أثرت العوامل الاجتماعية والتقاليد القبلية في ظهور هوية (مبارك العبد ) واستمر هذا التأثير على أبناءه برغم التحولات التي طرأت على حياته . ومحاولاته في تغيير هذه الصفة وهذا العنوان ( العبد ) وأن لا فرق بين ألوان البشر أسودها وأبيضها من خلال إثبات وجوده في هذا المجتمع عن طريق الغناء ومشاركته في كل الأفراح ( كان يحدثنا عن شبابه وكيف كان يعزف ويعني ويرقص حتى الصباح مع العجر في اعراس أبناء الشيوخ ومناسباتهم )<sup>(١٥)</sup>، في النص نرى ( مبارك العبد ) كان يُحيي ليالي الأفراح بالغناء والرقص محاولاً اثبات وجوده في هذا المجتمع الذي يعتبر الملونين من طبقة أدنى عن غيرهم لاختلاف بشرتهم وحتى أعمالهم كانت الخدمة لدى الشيوخ وأصحاب المقامات من اقطاعيين وغيرهم ، فكان اللجوء إلى إحياء الأفراح هو لتخفيف النظرة الدونية التي كان يعاني منها في مجتمعه ، فالمأساة التي عاشتها هذه الطبقات كبيرة ، عنوان لا يمكن التخلص منه ولون تميز به عن الآخرين ، في حين ان الاسلام في بدايته وعلى لسان نبيه الكريم صلى الله عليه واله وسلم لا فرق بين اسود وابيض الا بالتقوى ، وحتى العبودية والرق انتهت في المجتمع العراقي في القرن العشرين ، ولكن العصبية القبلية والاعراف والتقاليد الموروثة من الجاهلية والعصبية العربية كانت سبباً في معيشة السود لحالة فقد الانتماء ، والشعور بالاعتراب والضعف ، وحتى من يتكيف مع الوضع الذي يمليه عليه المجتمع ، فيكون زواجه واختلاطه الا بمثله ومن لونه ، محاولاتهم الى اثبات ذواتهم والتخلص من هذا النقص الذي يشعر به من خلال اللون واللقب نجده يسعى إلى ممارسات فنية للتخلص من الدونية والهامشية حيث يجعلها جداراً أو جلدأ آخر يوارى نقصه اللوني الأسود ولقب العبد<sup>(١٦)</sup> . وبرغم تحرر أكثر العبيد بعد الثورة إلا أن مبارك العبد ظل يعاني من هذه العقدة ( اللون واللقب ) تقول جمهورية ( وظلا ملاصقين له رغم أنه تخلص من عبوديته بعد الثورة وهاجر من قريته السابقة التي كان مستعبداً فيها - لأحد ملاك الأراضي - إلى قرية الجدي ، فأمتهن الفلاحة وبناء بيوت الطين وجز صوف الأغنام ، في بداية السبعينات صار له بيت وماشية وسمعة طيبة في القرية ، تزوج من قرية مجاورة امرأة حرة وافقوا على تزويجه منها لأنها خرساء وابنة حائك ، رضيّ بخرسها لأنها كانت حرة على أية حال ، وهذا يُعينه على الخلاص من العبودية )<sup>(١٧)</sup> هذا ما كان يعاني منه أصحاب الهوية السوداء ، فهذه الأسماء هي تحقير وتهميش وسلب لحقوقهم التي تساوا بها مع أبناء المجتمع قانوناً وشرعاً إلا أن التقاليد العرفية والقبلية العصبية التي تتمتع بها المجتمعات الريفية والقروية كانت لا تنتهي من اطلاق الألقاب ، على كثير من الفئات الاجتماعية والتي باعقادهم أن أصحابها أقل مستوى من باقي البشر ، ونرى من

معاناة مبارك العبد أنه كان يعمل في جز صوف الأغنام وهي مهنة لا يعملها أكثر الناس باعتبارها مهنة وضيعة وحتى زواجه من امرأة خرساء وابنة حائك اضاف إلى معاناته معاناة أخرى ، هي زواجه من ابنة الحائك والتي كانت من المهن التي يأنف منها المجتمع في ذلك الوقت وتعد من المهن المتدنية ولا يختلط ولا يرتبط أبناء المجتمع بهكذا نسب لأنه يُعير به في مجتمعه ، ومع وضاعة نسبها فضلاً عن أنها خرساء أي لديها نقص النطق وكل هذه التنازلات التي أدخل نفسه بها إلا أنه أراد أن يتزوج من امرأة بيضاء تغير النسل ويتخلص ابنائه من اللقب ولون البشرة اللتين عاش بهما على هامش من الحياة يعامل على غير ما يعامل به غيره ، وبنظرات دونية فكانتا عقدة في حياته وأراد تخليص ابنائه منها<sup>(١٨)</sup> ولكن بقيت ترافقه إلى نهاية عمره ورغم ما بذله من جهد للتخلص منها مع ما كان يتمتع به من صفات اخلاقية ومحبة الناس والمعاملة الطيبة التي يبذلها للناس وتركه الغناء وصنعة الآلات الموسيقية كما تصفه ابنته ( هل تعتقد أن والدي ترك كل ذلك عن قناعة ؟ أم تركه لأنه أمرٌ معيب في نظر أختبار القرية ووجهائها ، ومما كرس ذلك أكثر دماثة خُلقه وعلاقاته الطيبة مع الآخرين ، لكن العبد ظل ملاصقاً له رغم ثلاثة عقود من عمره عاشها حراً حتى مات في السنوات الأولى من الحصار الاقتصادي في عقد التسعينيات )<sup>(١٩)</sup> . في النص سؤال لجمهورية تسأل هل أن والدها ترك كل هذه الأشياء عن قناعة ؟ أم لأنه أمر معيب في نظر أختبار القرية ووجهائها ، أي ما معناه أنه نزولاً عند رغبة أهل القرية وأختبارها والعيش حسب قناعتهم إلا أن ذلك لم يرفع عنه هذه العقدة وظل يُنادى عليه بالعبد مع طول فترة ثلاث عقود هو يعيش ضمن المجتمع بأخلاق طيبة لكنهم اعتادوا على هذه التسمية التي تنفي عن صاحبها صفة الحرية ، ولم يقف اللقب واللون عند الأب فقط وإنما بقي ساري المفعول إلى ابنائه وأثر في حياتهم داخل المجتمع الذي عاشوا فيه ، فمن آثاره كان عائقاً أمام زواج جمهورية من أحد أبناء القرية لأن لونها مختلف وهذا ما لا يسمح به العرف الاجتماعي السائد من الاختلاط والاقتران بغير صنفها و ادى شعور جمهورية بالاعتراب واشكالية الهوية حيث تقول ( كل شيء في تلك الحياة التعيسة ... وأولهم اللون واللقب ربما يمكن تغيير اللقب في القرية ، وإنما لا يمكن تغيير اللون ، لوني الذي كان يدل على الأصل الذميم في نظر سكانها ، كان عسيراً عليّ العيش بهما - اللون واللقب - بشكل طبيعي ، مثل باقي فتيات القرية ؟ ما ذنبي إن كنت ولدت بهما ؟ وما فضل الأخريات عليّ إن ولدن بألوان وألقاب أخرى ؟ لقد وقفا حجر عثرة في طريق حياتي ، مذ عرفت الفرق بينهما وبين ألوان وألقاب الآخرين ، مهما تحدثت إليك فلن تعرف معاناتي ، الملونون وحدهم يعرفون ... )<sup>(٢٠)</sup> تروي جمهورية المعاناة التي تعيشها بالرغم من أنها تعيش بينهم وليس كما كان يعيش العبيد ، يعيش عند سيده ولم تدرك ما عاشه أبوها عندما كان عبداً عند الشيوخ ، لكن العرف الاجتماعي والتقاليد التي بقيت تُحتقر هذه الفئة من الناس وإن كانت معاناتهم من صعوبة الاختلاط أي الاقتران والزواج الذي كان يشكل حاجزاً ومانعاً وهذا ما منع ذياب الصياد من الموافقة على زواج ابن أخيه من جمهورية ، وهناك نسق مضمّر في النص

يوضح تقليد عرفي واجتماعي هو إن بنت العم تأخذ أبناء العم وهذا العرف يحدده الآباء عند ولادة الأبناء وإن كان هو غير مقتنع ، أو هي رافضة الاقتران به . العرف الاجتماعي تسري قوانينه على الأبناء في مجتمع القرية والقبيلة . وهذا ما أفسد حُلم جمهورية من الزواج بمن تحب والزواج من سرحان الصياد تقول ( أما أنا فكان حلمي داخل قرية الجدي نفسها ، وأوشكت على تحقيقه بالزواج من سرحان الصياد ولكن اللون والأصل وفقاً حائلاً بيني وبينه ... بعد أن تجرأ سرحان وفتح عمه ذياب بشأن زواجنا ، رفض ذلك رفضاً قاطعاً فلا بد لسرحان أن يتزوج ابنة عمه سعدية بالرغم من أنه أحد معاقبي الحرب وقد لا ترضى به الكثيرات من بنات القرية ، لكن العادات والتقاليد كانت تقضي بأن يتزوج أبناء العمومة من بنات أعمامهم ، حتى وإن كان ذلك ضد رغباتهم ) (٢١) ، في النص أكثر من مؤثر وحائل منعا من زواج سرحان من جمهورية ، أولها اللون والأصل الذي يعده ذياب أصل حقير دون الأصول البيضاء ، والثاني هو بنات العمومة تُوقف وبحكم العرف الاجتماعي إلى أبناء العمومة وإن كان ضد رغباتهم وهنا أفرز لنا هذا العرف الاجتماعي هوية مغيبة وهي هوية سعدية التي اختفت وبظروف غامضة والنسق الثقافي المضمّر في النص .

إن الثقافة الذكورية هي المسيطرة والقاهرة بحق النساء ورأيها مغيب في اعرافهم وتقاليدهم والاختيار ما يختاره الآباء لهن من أزواج وإن كان مُعاقماً أو مجنوناً في حين كانت جمهورية قابلة به وإن كان مُعاقماً أو نصف رجل ، حتى تغير هذه النظرة الدونية وإن تخفي اللقب الذي ورتته عن أبيها ، وتنمى أن لا تسمع به وتفرح بأي لقب آخر إلا العبودية ( لقبني الملاً في أحد أيام الجز ) جمهورية السود ( ففرحت وكأنه لقبني بجمهورية الأميرة ، لأنه على أية حال أفضل من لقب العبودية ، كانت سعادتني غامرة به وأمسيت أحلم أن لقب العبودية سينتهي معي ولن يطال أولادي وأحفادي ) (٢٢) ، هي تقول حُلم سبق أن جاهد ابوها لمحو هذا اللقب وهذا الأصل عن أولاده ولكن التقاليد القبلية والأعراف الاجتماعية كانت لها السلطة على تصرفاتهم إلا القليل منهم ، لكن هذه العوامل الاجتماعية كان لها الأثر في تحول هوية جمهورية إلى هوية لا أخلاقية بعد أن يأست من الزواج وترى نفسها لا قيمة لها بهذا المجتمع وشعورها بالصدمة حيث تقول ( فأصبح قطار الزواج بعيداً عني بُعد النجوم ، فمن سيرضى بأن يتزوج من فتاة سوداء ذات أصل ذميم في نظر أهل القرية ؟ كنت محبطة ويائسة جداً ، وألوم وردة كلما التقيتها لأنها لم تقم بحل مشكلتي ) (٢٣) ، المعاناة هنا في هذا النص هو تحكم التقاليد والأعراف الاجتماعية التي جعلت أهل القرية ترى أن الأصل لهذه الفئة من البشر بأنه أصل ذميم وهذه نظرة جاهلية لا زالت متحكمة بأكثر المجتمعات العربية والتي زرعت اليأس والاحباط عند جمهورية وجعلتها بعيدة عن الزواج بُعد النجوم والذي صار مسوغاً لضعفها أمام المغريات وخروجها عن الطريق والسير بطريق لا أخلاقي وانتهى بها المطاف إلى هوية مغيبة بعد مقتلها من قبل أخيها ودفنها في تل ساسة مستغلاً ضعف القانون بعد الفوضى التي خلفها الاحتلال الأمريكي ، وأما معاناة جمهوري من اللقب والعنوان وهو ( كان يحلم ... وبأن يتمكن مادياً يوماً ويسافر إلى

مدينة بعيدة حيث لا يعرفه فيها أحد ، يتزوج هناك ويتخلص من كل شيء )<sup>(٢٤)</sup> ، نرى جمهوري يريد التخلص من كل شيء من اللون واللقب اللذان أوصلا أخته للانحراف الأخلاقي ، وجعله يفكر بالسفر وترك هذه البلاد التي تربي فيها وعاش طفولته فيها بالرغم من أنه هو وأخته لم يكونا عبيدين كما كان أبوهم وإنما فقط معاناتهم من اللون الذي جر عليهم تبعات اللقب ، حيث في العرف الاجتماعي القبلي كل أسود البشرة يُنادى عليه بالعبد ( فولادة شخص أسمر في مجتمع البيض يجعله لا يحيى رجولته بالطريقة ذاتها ، ولا أي عنصر آخر من هويته )<sup>(٢٥)</sup> ، ولكن حاول التخلص من هذه العقدة وبكل وسيلة ، وليس أمامه من تذويب هاتين الخصلتين إلا بالتدين حتى يحظى بتقدير الآخرين ، بعد أن ( ظهر المد الديني في تلك الفترة ، وتوفي ملا عليخان ممثل الدين في القرية ، فأصبحت الفرصة مواتية لجمهوري بأن يركب الموجة ، ويتخلص من اللقب والأصل معاً ، أطال ذقنه ، حفظ بعض المصطلحات الدينية وأصبح يتداول الكتب ، يذهب كثيراً لزيارة أضرحة الأولياء ، كما صاحب مجموعة من الشباب المتشدد ... صار كل شيء عنده حرام وباطل ، وكل من يختلف معه بالرأي ضالّ وباطل وآثم ... ولقبوه بجمهوري الملا ، فتحقق له ما أراد بالتخلص من لقب العبد ، بقيت مشكلة الأصل واللون اللتان حلها بالآذان كل يوم في المسجد ، ليوحي للآخرين أن بلال مؤذن الرسول كان أسوداً أيضاً )<sup>(٢٦)</sup> .

لم يكن أمام جمهوري للتخلص من عقدي اللون واللقب إلا سلوك طريق التدين الذي مثل قوة لدى بعض الشباب المتجمع تحت ظل هذه الهوية والتي هي محل احترام وتقدير قبل أن تكون قوة مركزية في المجتمع ، فما عليه إلا أن اطال ذقنه والتجئ إلى جماعة معينة من الشباب وشرع في بعض الممارسات الدينية لقراءة الكتب وزيارة العتبات المقدسة حتى تخلص من عقدة اللقب وصار يلقب بالملا وهذا اللقب مثل كسراً للنظرة الدينية التي كان يقابل بها في مجتمعه بمناداته بالعبد واستطاع أن يحطم العرف الاجتماعي السائد وتحول إلى لقب يضفي على صاحبه الاحترام والتقدير<sup>(٢٧)</sup> كذلك وجد في هذا الانتماء قوة حامية يتخلص بها من تسلط المجتمع واستهزائه به واما قضية اللون فما عليه إلا أن يكون متشبهاً بشخصيات دينية محل احترام المجتمع الإسلامي كانت لها نفس البشرية السمراء وبهذا يمكن أن تكون له هوية ترفع من شأنه وتوقف عنه ما سارت عليه الأعراف الاجتماعية والتقاليد القبلية .

أما في رواية ( لحياة غير مكتوبة ) كانت العوامل الاجتماعية لها الأثر الواضح على ظهور الهوية ، لقد مثل هذه الهوية الاجتماعية ( الأستاذ جواد ) مدرس التاريخ الذي أراد لابنه أن يعيش حياة ثقافية ففرض عليه القصص والكتب والانقطاع عن اللعب مع الأطفال وعدم الاختلاط ، لأن أباه من الطبقة المثقفة فلا بد أن يكون بمستوى هذا الوسط الاجتماعي ، المدرس في أيام الأستاذ جواد كان يمثل الطبقة المثقفة في المجتمع فضلاً عن أنه مدرس تاريخ الذي يكون اطلاعه أكثر على الأوضاع



السياسية وتقلباتها وتبعاتها ، أراد لأبنة التميز من بداية حياته وجلب له القصص والكتب وكان يستغرب من تصرفاته التي أدمن عليها وهي العزلة والارتباط بالقراءة ودون الشعور بالحياة وتفصيلها الأخرى يقول ( ما الذي جعل هذا الولد انغزالياً لهذه الدرجة ؟ هل هي تربيتي الصارمة ، وحرصى الزائد عن حده ؟ ! أم ماذا أين الخلل ، فتخيل أن صورته المنعكسة في المرآة تجيبه بجدية واشمنزاز : لا إنما هو من هذا الجيل الفاشل . أيه ... أين هم عن جيلنا ؟ أرضت العبارة الأخيرة نرجسيته )<sup>(٢٨)</sup> ، نرى الاستغراب واضحاً من قبل الأب لماذا وصل ابنه لهذا الحال ، وأنه انعزل عن المجتمع ولا يمكنه الاختلاط بأمثاله من الأطفال وحتى مع عائلته ، مع ذلك ينسب الأب الفشل إلى الجيل الذي ينتمي إليه الابن ، حتى يُرضي نرجسيته والتي تسببت في فرض عالمه على عالم أبنة الذي يختلف عنه بالفكر والتطور والجيل فيتوهم الأب أنها حياة ثقافية بينما هو يعيش عزلة وانكفاء على ذاته بسبب هذه الضغوط الاجتماعية التي حولته إلى شخص هامشي فاقد التواصل مع الآخرين والاحساس بالواقع أو التعايش معه .

وأما العوامل الاجتماعية والتقاليد والاعراف التي جعلت مهر يحرم ابنه من ان يكون ضابطاً في الجيش الوطني كما يقول الراوي ( الملك يريد تأسيس جيش وطني ، ويريد ضباطه الاوائل من ابناء الشيوخ والاقطاعيين فيرسلهم للدراسة في الكلية العسكرية البريطانية.

رفض مهر ذلك رفضاً قاطعاً وقال له زاجراً :

كيف يرتدي ولدي البنطال ، ويكون تابعا ومأمورا لاحد ويترك ارضه ومضيفه؟!<sup>(٢٩)</sup>

في النص توضيح لارتباط ابناء الريف بحياتهم الاجتماعية ، فضلاً عن الامكانية الاقتصادية والتأثير الاجتماعي في المساحة التي يحكمها ، واراد لولده ان لا يكون محكوماً من قبل احد ويعاب عليه ترك اللباس العشائري ولبس البنطال الذي يعد من الازياء الطارئة على المجمع في وقتهم وان لا يترك ارضه ومضيفه وهما سبب وجاهته الاجتماعية . وايضاً العوامل الاجتماعية والتعالى جعلت ( مزيد ) صديق مهر الاقطاعي هوية مقهورة أدت به إلى أن يُطرد من الجماعة التي ينتمي إليها بسبب أنه طلب الزواج من ابنة ( مهر ) الذي كان يمثل الطبقة الغلبا بالمجتمع وهي طبقة الاقطاع التي كانت في وقتها تحظى بسلطة اجتماعية عليا في المجتمعات العشائرية والزراعية فكانت تملك الأراضي وما عليها من دواب وفلاحين وعبيد وخدم وحشم ، يقول مضر راويا ايام اجداده ( نعم حكمت لي جدتي عن ( مزيد ) صديق مهر الوحيد ، الذي اختلف معه لأنه أراد الزواج من إحدى عماتي . حينها تقادحت عيون مهر شرراً ، وطرده شر طردة ، وأمره أن لا يراه ثانية )<sup>(٣٠)</sup> . في النص بيان واضح للتعالى والتكبر الذي كان يتعامل به ( مهر ) مع واقعه الاجتماعي ومن حوله من المجتمع بحيث قام بطرد أقرب اصدقائه والذي عمل معه أكثر من نصف عمره حيث بدأ فلاحاً إلى

أن نال أقرب مرتبة وهي مرتبة الصديق ، ولكن التكبر والتعالي كانا يمنعان مهر من ان يصاهر من كان يوماً من الأيام فلاحاً لديه وهذا ما قاله مزيد ( كنت في بداية شبابي فلاحاً عنده ولعلاقتي الطيبة معه صرت وكيله على أراضيه وصديق عمره ، ولكن خلافاً فرق بيننا ، ما كنت أتصور أن مثله يمكن أن يفرقنا )<sup>(٣١)</sup>، هنا مزيد يؤكد الخلاف الذي لا يظن أن يحدث لقربه منه ولطول مدة الصداقة ولكن التعالي والنظرة الفوقية جعلته يطرد أقرب الناس له وجعله ذاتاً منكسرة مهمشة في مجتمع تسلط فيه مهر على مجتمعه ولا يقبل لصهره إلا أن يكون من الطبقات المالكة ولم تكن في بدايتها من الطبقات المهمشة والمسحوقة .

في النصوص الواردة بين السيد نعيم ال مسافر أن الاعراف والتقاليد الاجتماعية كانت سائدة ومُتسيّدة في المجتمع العراقي ولفترات زمنية طويلة ، وأكثر هذه التقاليد والاعراف هي رواسب جاهلية وأعراف اجتماعية فرضتها المركزيات الاجتماعية والطبقات المتعالية بالمجتمعات التي مرت بالعراق .

**الخاتمة:**

**اهم نتائج البحث:**

- ١- كشف لنا البحث أنّ النصوص الروائية تضرر انساقاً متعددة
- ٢- اكدت الروايات أنّ العوامل الاجتماعية لها الاثر الكبير في سلوك الانسان اذ تغطي كثير من الاعراف والتقاليد على سلوك الفرد او الجماعة
- ٣- العادات والتقاليد الاجتماعية لها دور كبير في التأثير على المجتمعات وفي بعض الاحيان تؤدي الى استنزاف قيم هذه المجتمعات وتعادي حياة العمل بدعوى دونية العمل في العرف الاجتماعي السائد .
- ٤- اكثر احداث الروايات هي تاريخ لفترة معينة مما عاناه الشعب العراقي اجاد صياغتها الروائي بطريقة سردية خيالية وباسماء حقيقية للأماكن التاريخية والحضارية والاشخاص
- ٥- بينت الروايات انواع الهويات التي عاشت في العراق والمؤثرات التي ادت الى ظهورها

**الهوامش:**

- (١) ينظر : الهوية ورهاناتها : فتحي التريكي ، الدار المتوسطة للنشر ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص: ٤٤ .
- (٢) الهوية اليكس ميكشلي ، ترجمة : علي وطفة ، دار الوسيم ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٣ : ٧٥ .
- (٣) م . ن : ١٢٩ .
- (٤) ينظر : الهوية وسؤال المثاقفة ، مساهمة في نظرية الأدب المقارن : صلاح السروي ، دار الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٢٠ : ٥٢-٥٣ .
- (٥) الهوية وخصائصها في الوعي العربي المعاصر : أحمد بعلبكي وآخرون ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٣ : ١٥٧ .
- (٦) رواية كوئاريا ، نعيم آل مسافر ، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني ، الطبعة الاولى، ٢٠١٦ ، ص : ٤٨ .
- (٧) ينظر : المركزية والهامش في النسوية العراقية : ابتهاج أحمد الطائي ، أشرف : أ . د فوزية لعيوس الجابري : ٧٤ .
- (٨) كوئاريا : ٥١ .
- (٩) يُنظر : كوئاريا : ٥١ .
- (١٠) كوئاريا : ٥٢ .
- (١١) كوئاريا : ١١٩ .
- (١٢) م . ن : ١٢٥ .
- (١٣) الاغتراب في الرواية الأردنية : غالب هلسا انموذجاً : بو بكر عواد : ٢٣ .
- (١٤) كوئاريا : ١٢٦ .
- (١٥) رواية اصوات من هناك ، نعيم آل مسافر ، دار شهريار/ دار الرافدين ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٧ ، العراق - البصرة ، ص: ٤٨ .
- (١٦) ينظر: الهوية في شعراء صعاليك ما قبل الإسلام : ٤٨-٤٩-٥٠ ، وكذلك ينظر : الهوية عند الشعراء السود الجاهلين عنتره أنموذجاً : ٧١ .
- (١٧) أصوات من هناك : ٤٧ .

- (١٨) ينظر : الهوية عن الشعراء السود الجاهلين عنزة أنموذجاً : ٧٩ .
- (١٩) أصوات من هناك : ٤٨ .
- (٢٠) أصوات من هناك : ٤٧ .
- (٢١) م . ن : ٥٢ .
- (٢٢) أصوات من هناك : ٥١ .
- (٢٣) ن . م : ١٣٤-١٣٥ .
- (٢٤) أصوات من هناك : ٥١ .
- (٢٥) ينظر : تمثيلات الآخر ، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسط : نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤ : ١٦٣ .
- (٢٦) أصوات من هناك : ٥٢-٥١ .
- (٢٧) ينظر: النقد الثقافي ( قراءة في الأنساق الثقافية العربية ) : عبد الله الغدامي ، المركز العربي ، ط ٣ ، ٢٠٠٥ : ٢٤٥-٢٤٨ .
- (٢٨) رواية لحياة غير مكتوبة ، نعيم آل مسافر ، دار الرافدين ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٨ ، بيروت - لبنان ، ص : ١٠ .
- (٢٩) ( حياة غير مكتوبة : ١١٦ )
- (٣٠) ن . م : ١٢٢ .
- (٣١) حياة غير مكتوبة : ١٢٢ .

### المصادر:

١. المركزية والهامش في النسوية العراقية : ابتهاج أحمد الطائي ، أشرف : أ . د فوزية لعيوس الجابري
٢. رواية اصوات من هناك ، نعيم آل مسافر ، دار شهريار/ دار الرافدين ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٧ ، العراق - البصرة
٣. الاغتراب في الرواية الأردنية : غالب هلسا انموذجاً : بو بكر عواد

٤. تمثيلات الآخر ، صورة الأسود في المتخيل العربي الوسط : نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤
٥. رواية كوثرانيا ، نعيم آل مسافر ، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٦
٦. رواية لحياة غير مكتوبة ، نعيم آل مسافر ، دار الرافدين ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٨ ، بيروت - لبنان
٧. النقد الثقافي ( قراءة في الأنساق الثقافية العربية ) : عبد الله الغذامي ، المركز العربي ، ط٣ ، ٢٠٠٥ ،
٨. الهوية اليكس ميكشلي ، ترجمة : علي وطفة ، دار الوسيم ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٣
٩. الهوية عند الشعراء السود الجاهليين عنتر بن شداد انموذجاً ، حسين عبدالجليل عايش ، اشراف أ.د. حسين علي عبدالحسين الدخيلي ، ٢٠١٨
١٠. الهوية في شعر الصعاليك ما قبل الإسلام : محمد سالم فرحان ، إشراف : أ. د. جنان محمد عبد الجليل
١١. الهوية وخصائصها في الوعي العربي المعاصر : أحمد بعلبكي وآخرون ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٣
١٢. الهوية ورهاناتها : فتحي التريكي ، دار المتوسطة للنشر ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
١٣. الهوية وسؤال المثاقفة ، مساهمة في نظرية الأدب المقارن : صلاح السروي ، دار الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٢٠